النقش الإلهى العجيب

« هوذا على كفي نقشتك »

(اش٤٦:١٦)

للأخ عزت عطية

تبدأ الآية بالقول « هوذا » وهذه الكلمة هي كلمة تعجب ، فان كان الكثيرون يتحدثون عن عجائب الدنيا السبع ، الا اني أرى أن هذا الوعد المبارك هو أعجب الكل فهو من احدى عجائب السماء . بل ان كلمة « هوذا » تعني أن ههنا شيئا يستحق الالتفات ، فحيثما ذكرت هذه الكلمة في الكتاب المقدس فانها تشير الى مواعيد ثمينة مباركة ، أو الى حقائق خالدة مجيدة ، فحين كان يوحنا المعمدان في البرية يعمد بمعمودية التوبة ورأي شخص المسيح مقبلا إليه صرخ بصوت عال قائلا : « هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم ». وألا ترون معى أن ما يتبع كلمة « هوذا » في هذه الآية هو وعد يستحق الالتفات . انه كمنجم من مناجم الذهب ، كلما تعمقنا فيه وجدنا ذهبا أفضل .

بل ان هذه الآية كأس مليئة بخمر التعزيات، وكل ما أستطيع أن أعمله هو أن أشير اليها قائلا : « هوذا » لكن عليك أنت أن تشرب الكأس حتى نهايتها ، واياك أن تضيع

قطرة من هذه التعزيات . تعجبي أيتها السموات و ابهتجى أيتها الأرض لأن الإله كلى القداسة ارتضى أن ينقش على يديه أسماء أناس خطاة نظيرنا . ان هذا الشرف العظيم لم يتمتع به ملاك من الملائكة ، لكنه أعطى للإنسان الذي هو تراب ورماد ولنتأمل في كلمتين :

ا- حقيقة النقش

والنقش هو الكتابة التي لا تمحى ، و قد كانت عادة اليهود المتعبدين في القديم أن يرسموا على أيديهم صورة صغيرة للهيكل ، تعبيرا منهم عن حبهم القلبي للرب ولهيكله.

وقد استمر نظام النقش هذا جيلا بعد جيل واستخدم في أغراض مختلفة ، فالعبد كان ينقش على ذراعه اسم سيده ، والجندى كان يكتب على ذراعه اسم قائده ، ومازالت فكرة النقش هذه موجودة الى عصرنا هذا ، فالذي يذهب لزيارة الأراضي المقدسة يكتب على ذراعه تاريخ الزيارة •

و هذا النقش يتم عن طريق عملية مؤلمة ووخز الإبر ، ومتى تم النقش فانه لا يمكن أن يمحى انما يظل في يد الانسان طوال حياته وكأنه جزء لا يتجزأ منه . وكاني بالله حين يقول نقشتك ، انما يقصد أن يقول لنا ، لقد أصبحتم جزءا لا يتجزأ من يدي فحياتكم الآن قد أصبحت مرتبطة بحياتي ، وأليس هذا ما قاله المسيح لتلاميذه : « اني أنا حي فأنتم ستحيون » ؟

لاحظوا أن الآية لا تقول « على كفى كتبتك » أو « طبعت اسمك » انما تقول « نقشتك »، فالطباعة والكتابة قد تمحى على مر الزمن ، أما النقش فلا يمكن أن يمحى ، ذلك لأن الكتابة تكون سطحية ، أما النقش فانه يكون عميقا . وماذا أقول عن نقش أسمائنا على كفى الله ؟ اني أتصور الإله السرمدي وهو يمسك بالآلة الحادة ويضغط عليها بكل قوته حتى يكتب أسماءنا على كفه ، لقد كانت آلة الحفر هي ذلك المسمار الغليظ الذي مزق يد المسيح على الصليب ، وان كانت عملية النقش هذه قد آلمت المسيح كثيرا الا أنه احتملها بصبر في سبيل حبه لنا.

ثم لاحظوا أن كلمة « نقشتك » في صيغة الماضي ، وهنا أقف قليلا لأسأل هذا السؤال

: هل كان تاريخ الصلب هو تاريخ نقشنا على كفي السيد ؟ أقول كلا ، فكما أن الفداء كان في فكر الآب منذ الأزل لكنه تم على الصليب ، كذلك نقش أسمائنا كان في فكر الله منذ الأزل ولو أنه تم بموت المسيح لأجلنا.

ثم لاحظوا حرف ال «ك» في كلمة نقشتك ، أي نقشتك أنت . ربي من ذا الذي تقصده بهذا الحرف «ك»؟ هل تقصد نفسي المسكينة ؟ وكأني أسمعه يقول لي : (نعم ، أنت بالذات . وكل انسان يتعلق بصليبى).

وهنا أرجو أن نقف قليلا لنتأمل جيدا في قول الرب فهو لا يقول على كفي نقشت اسمك. كلا ، لكنه يقول « على كفي نقشتك أنت » . لقد نقشت شخصيتك ونقشت صورتك ، وكتبت ظروفك وأحوالك ، وسجلت تجاربك وضعفاتك ، ودونت أعمالك واحتياجاتك ، ما أدق النقش الذي نقشناه على كفي الهنا ! أدق بكثير من صورنا المرسومة على ألواح معرفتنا ، لأن الهنا يعرفنا أكثر مما نعرف نحن أنفسنا .

٢- مكان النقش اين نقشنا يا ترى ؟

أن النقش يكون عادة على قطعة من الرخام أو المعدن ، أما نحن فقد نقشنا على كفي الله ، فالرخام والمعدن وكل ما في الأرض من مصنوعات سوف تتلاشي يوما ما ، أما يد الله ، ذلك الاله الأزلي الأبدى ، فانها باقية بدوام الله .

الكف هو الجزء من الجسم الذي يقع دائما تحت نظر العين ، فأنا أذا أردت أن أرى وجهى فلا بد لي من مرآة ، واذا أردت أن أرى ظهرى فانى أكون بحاجة الى مرآتين متقابلتين ، وأما يدي فاني أراها دائما طول النهار . ألا تملؤنا هذه الحقيقة شكراً لله ، انه حين أراد أن ينقشنا، نقشنا على كفيه لنكون دائما أمام نظره ، فكما أن الأم حين تحمل رضيعها تضعه على كفيها وتحيطه بذراعيها ، كذلك الهنا لكي يؤكد لنا عنايته بنا نقشنا على كفيه حتى نكون محاطين بذراعي عنايته لاحظوا أيضا أن الكف هو الجزء الداخلي من اليد ، فالهنا لم ينقشنا على ظهر يده ، لكنه نقشنا على كفه في الداخل . فأنت حين تخاف على شيء تمسكه في كفك ، والهنا من خوفه علينا واعتنائه بنا نقشنا على كفه .

وكلمة « كفى » هنا بصيغة المثنى ، فهو لا يقول على كفى اليمين نقشتك انما يقول « على كفيَّ نقشتك ». لقد نقشنا على كفيه كلتيهما لأنه يحيطنا بيديه كلتيهما ، وفي هذا

تقول عروس النشيد : « شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني »

يقول علماء الكف أن كل ما يتعلق بمســـتقبل حياة الانســـان مكتوب على كفه في الخطوط المرســومة عليه ، فهناك خط يشــير الى عمر الإنســان ، فاذا كان ذلك الخط طويلا كان معنى هذا أن عمرالانسان سيكون طويلا ، والعكس أيضا صحيح فاذا قصر ذلك الخط كان معناه قصر حياة الانسان . وأنا أقول انه سواء أكان مستقبل حياتي وكل ما - يتعلق بي مكتوبا على كفى أم لا، فان هذا لا يعنيني كثيراً لكن يكفيني وعد الرب القائل : « على كفيَّ نقشـــتك) . الذي يؤكد لي بأن كل ما يتعلق بحياتي منقوش على كفيه هو.

منقول مع التنسيق من كتاب (كله مشتهيات) لسنة ١٩٧٦